

٣١ فائدة
في تدبُّر وتلاوة القرآن








بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله،

أما بعد:

فهذه فوائد وخلاصات مجموعة في: **تدبُّر وتلاوة القرآن**، أسأل الله أن ينفع بها، وأن يجزي خيرًا كلَّ مَن شاركَ وأعانَ في إعدادِ هذه المادة ونَشْرِها.





القرآنُ كلامُ الله، ووَحيُه، ورسالتُه إلىٰ خَلْقه، وحَبْلُ الله المتين.

وهو هدًىٰ، ورحمةٌ، ونورٌ، وبلاغٌ، وبصائرُ، وفُرقانٌ، وموعظةٌ، وهو الذِّكْر الحكيم، قال الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧]، وقال: ﴿هَٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية:٢٠]، وقال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء:١٧٤]، وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران:٥٨].



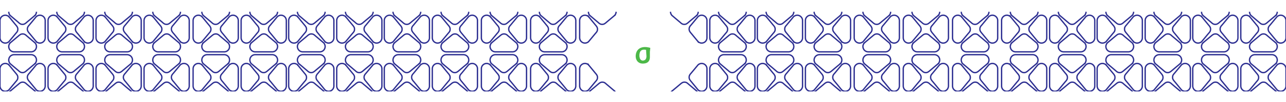
القـرآن الكريـم لا تنقضـي عجائبُـه، ولا يَشْبَعُ منه العلماء، مَن قرأه علَّمه الله عِلمَ الأَوَّليـن والآخِريـن، ومَـن قـال بـه صـدقَ، ومَـن عَمِلَ بـه أُجِرَ، ومَـن حكـمَ بـه عـدلَ، ومَـن استمعَ إليه انتفعَ، ومَـن دعا إليه هُدِيَ إلىٰ صراط مستقيم، ومَـن اتَّبعَه فلا يضلُّ ولا يَشْقَىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طـه:١٢٣]، قـال ابـنُ عبّـاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «لا يَضِـلُّ فِـي الدُّنْيَـا، وَلا يَشْـقَىٰ فِـي الْآخِـرَةِ»[١].



قـراءة القـرآن، وتعلُّمُـه وتعليمُـه، وحِفظُـه وتحفيظُـه، ومُدارَستُه؛ هـو مـن أشـرف مـا

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ١٩١)، وابن كثير (٥/ ٣٢٢).



تُصرَف فيه الأوقات، وتُبذَل فيه الأموال، وأصحابُه هم كالتاج على الرُّؤوس وكالشمسِ للدُّنيا، وأهلُ القرآن تعلُّمًا وتعليمًا هم خيرُ الناس، والمشتَغِلون بالقرآن حفظًا ودراسةً وفَهْمًا وتدبُّرًا هم أهلُ الله وخاصَّته.

كما في الحديث: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(١)، وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لله أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) رواه ابن ماجه (٢١٥)، وهو في صحيح الجامع (٢١٦٥).



كفىٰ أهلَ القرآن فخرًا وشرفًا أنَّ السَّكينةَ تتنزَّلُ عليهم في مجالسِهم العَطِرة، وتغشاهم الرَّحمة، وتحفُّهم الملائكة، ويذكرُهم الله فيمَن عندَه، فأيُّ فضلٍ أكبر من هذا؟

ففي الحديث: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله، يَتْلُونَ كِتَابَ الله، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»(١).



كفىٰ أهلَ القرآن فخرًا أنَّ الله تعالىٰ يرفعُ ذِكرَهم، ويُعلي شأنهم؛ كما في الحديث:

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

«إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»[1].



٦ هَجْر القرآن الكريم أنواع:

أحدها: هَجْرُ الإيمانِ به وتصديقِه. كما هو حال المُشرِكين والمنافِقين.

الثاني: هَجْرُ تلاوَتِه وسَماعِه والإصغاءِ إليه، وإيثارُ كلام البشَر عليه -من شِعْرٍ وغناءٍ ولَهْوٍ وثَرْثَرةٍ-.

الثالث: هَجْرُ العملِ به، والوقوفِ عند حلالِه وحرامِه، وامتثالِ أوامرِه واجتنابِ نواهيه، وإن قرأه وآمنَ به.

الرابع: هَجْرُ تحكيمِه والتحاكُمِ إليه في أصول الدِّين وفروعِه، واعتقادُ أنَّه

(١) رواه مسلم (٨١٧).

لا يفيد اليقين، وأنَّ أدِلَّته لفظيَّة لا يحصل العِلْمُ بها.

الخامس: هَجْرُ تدبُّرِه وتفهُّمِه ومعرفةِ تفسيرِه ومُرادِ الله من كلامِه.

السادس: هَجْرُ الاستِشفاءِ والتداوي به في جميع أمراض القَلْب وأدوائِها، فيطلُب شِفاءَ دائِه من غيره ويهجُر التداوي به، ويلجأ إلى السَّحَرة والمشعوذين ونحوهم.

وكلُّ هذا داخلٌ في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا﴾ [الفرقان:٣٠]، وإن كان بعضُ الهَجْر أهونَ من بعض[١].

(١) ينظر: الفوائد لابن القيِّم (ص ٨٢).



لا يخرُجُ المسلمُ من هَجْر القرآن الكريم إلَّا: بأن يكون له وِردٌ من تلاوته، يُقبل علىٰ القرآن الكريم، ويتدبَّر معانيه ويتفهَّم أحكامه، ويَعْمَل بما فيه، ويتحاكمُ إليه في كلِّ صغيرٍ وكبيرٍ، ويَسْتَشْفِي به مِن أمراضه القَلْبِيَّة، ويَسْتَرْقي من أمراضه البدنيَّة. والموفَّق مَن وفَّقه الله تعالىٰ وأعانَه وسدَّدَه.



تلاوةُ كتاب الله هي التِّجارة الرابحة التي لا تكسَد ولا تفسَد؛ فهي من أجَلِّ التِّجارات وأعلاها وأفضَلِها؛ وهي الموصلة إلىٰ رضا الله تعالىٰ، والفوزِ بجزيل ثوابه، والنجاةِ من سَخَطِه وعقابه؛ كما قال

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].



من فضائل تلاوة القرآن: أنَّه به تكثُر الحسنات؛ فإنَّ لقارئ القرآن بكلِّ حَرْف يقرؤه حَسَنة؛ كما في الحديث: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله؛ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا. لا أَقُولُ (الم) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»(١).

(١) رواه الترمذي (٢٩١٠)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب (١٤١٦).



من فضائل تلاوة القرآن: أنَّ القرآن يشفَعُ لقارئه يومَ القيامة؛ كما في الحديث:

«اقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ.

اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا»(١).

[(غَيَايَتَان): يأتي ثوابهما كأنَّه سحابتان تُظِلَّان صاحبَهما عن حرِّ الموقف يومَ القيامة.

(فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ): طائفتان من طير واقفة علىٰ الصَّفِّ، أو باسطة أجنحتها متصلًا بعضُها ببعض.

(تُحَاجَّانِ): تُدافِعان أو تُجادِلان].

وفي الحديث: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ،

---

(١) رواه مسلم (٨٠٤).

مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ؛ فَشَفِّعْنِي فِيهِ»، قَالَ: «فَيُشَفَّعَانِ»(١).



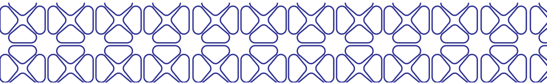
من فضائل تلاوة القرآن: أنَّ قارئ القرآن الماهِر فيه مع الملائكة الكِرام البرَرة؛

كما في الحديث: «الماهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»(٢).

[(السَّفَرة): جمع (سافِر)، كـ(كاتِب) و(كتَبَة)، وهم الرُّسُل من الملائكة، وقيل: هم الكتَبَة.
(البَرَة): المُطيعون.
(يَتَتَعْتَعُ فيه): يتردَّد في تلاوته وتشقُّ عليه القراءة. فله أجران: أجر للقراءة، وأجرٌ للمشقَّة فيها].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦٥٨٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٨٢).
(٢) رواه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).







من فضائل تلاوة القرآن وحِفظه: أنَّ حافظَ القرآن المُتقِنَ يُرفَعُ به درجاتٍ في الجنة؛ كما في الحديث: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ، كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»(١).



تلاوةُ القرآن وتعلُّمُه خيرٌ من كُنوزِ الدنيا؛ فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ بُطْحَانَ، أَوْ إِلَىٰ الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ، فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟»،

---

(١) رواه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، وهو في صحيح الجامع (٨١٢٢).

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»[1].

[(بُطْحَانَ) و(الْعَقِيق): موضعان بقُرب المدينة.
(كَوْمَاوَيْنِ): عظيمة السَّنام].



المؤمنُ قارئُ القرآن العامِلُ به، حَسَنُ الظاهِرِ والباطِنِ؛ كما قال رسولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرُجَّةِ؛ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ.

---

(١) رواه مسلم (٨٠٣).

وَالَّـذِي لَا يَقْـرَأُ الْقُـرْآنَ كَالتَّمْـرَةِ؛ طَعْمُهَـا طَيِّـبٌ، وَلَا رِيـحَ لَهَـا.
وَمَثَـلُ الْفَاجِـرِ الَّـذِي يَقْـرَأُ الْقُـرْآنَ كَمَثَـلِ الرَّيْحَانَـةِ؛ رِيحُهَـا طَيِّـبٌ، وَطَعْمُهَـا مُـرٌّ.
وَمَثَـلُ الْفَاجِـرِ الَّـذِي لَا يَقْـرَأُ الْقُـرْآنَ كَمَثَـلِ الْحَنْظَلَـةِ؛ طَعْمُهَـا مُـرٌّ، وَلَا رِيـحَ لَهَـا»[(١)].

[(الْأُتْرُجَّـة): نـوع مـن الفاكهـة، مـن أحسـن الثِّمـار طعمًـا ورائحـةً ومنظـرًا ومَلْمَسًـا].



تـلاوةُ القـرآن والعمـلُ بـه؛ مـن أكبـر النِّعَـم التـي ينبغـي أن يتنافـسَ فيهـا المسـلمون؛

ففـي الحديـث: «لَا حَسَـدَ إِلَّا فِـي اثْنَتَيْـنِ: رَجُـلٌ عَلَّمَـهُ اللهُ الْقُـرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَـاءَ اللَّيْلِ وَآنَـاءَ النَّهَـارِ، فَسَـمِعَهُ جَـارٌ لَـهُ فَقَـالَ: لَيْتَنِـي

---

(١) رواه البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧).

أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ. وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ»[١].

والمراد بالحسَد هنا: الغِبْطة، بأن يتمنَّىٰ مثل النِّعْمة التي علىٰ غيره، من غير زوالها عن صاحِبها، وهذا مُستحبٌّ في الطاعات. فالمعنىٰ: لا غِبْطَة مستحبَّة إلَّا في هاتَين الخَصلتَين وما في معناهما[٢].

١٦ مَن حَفِظَ القرآن وعَمِلَ به؛ وقاه الله من العذاب، ورفع درجاتِه في الجنة؛ كما في

(١) رواه البخاري (٥٠٢٦) من حديث أبي هريرة، و(٧٥٢٩) ومسلم (٨١٥) -مختصرًا- من حديث ابن عمر.

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ٩٧).

الحديث: «لَوْ أَنَّ الْقُرْآنَ جُعِلَ فِي إِهَابٍ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ؛ مَا احْتَرَقَ»(١).

والمعنىٰ: لو كان القرآن في إهابٍ -يعني: في جِلْدٍ-، في قَلْب رجل، يُرجىٰ لمَن القرآنُ محفوظٌ في قَلْبه أن لا تمسَّه النار، فمَن حملَ القرآن وقرأه لم تمسَّه النارُ يوم القيامة(٢).



من آداب تلاوة القرآن: أن يقرأ القرآنَ علىٰ طهارةٍ، مُستَقبِلَ القِبْلة، في مكانٍ طيِّبٍ نظيفٍ، وأن يتسوَّكَ قبل قراءته، ويستعيذَ بالله من الشيطان الرجيم، ويستفتِحَ بالبَسْمَلَة.

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٧٣٦٥)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٣٥٦٢).

(٢) ينظر: شرح السُّنَّة للبغوي (٤/ ٤٣٧).

ويُرَتِّل القرآن، فيقرأه مُترسِّلًا مُتَمَهِّلًا؛ ليكونَ أعونَ علىٰ التدبُّر والفَهْم، ويُراعي أحكامَ التجويد، والوقف والابتداء، مع تحسين الصَّوت بالقرآن، ويتوسَّط بين الجَهْر والإسرار في التِّلاوة.

ويَسْتَحْضِر معاني الآيات، ويخشَع عندَها، ويلين جِلْدُه لسماعِها، وتدمَع عينُه من أثرِها.

ويقِف عند الآيات متدبِّرًا؛ فإذا مرَّ بآيةٍ فيها تسبيحٌ سبَّح، وإذا مرَّ بآيةِ رحمةٍ وقفَ عندها وسأل الله من فضله، وإذا مرَّ بتعوُّذٍ أو آيةِ عذابٍ تعوَّذ، يسأل الله تعالىٰ الجنَّة في آيات النَّعيم، ويستعيذُ به من النار في آيات العذاب والجحيم.

ويقرأ من المصحَف تارةً ومن حِفظه تارةً جمعًا بين الفضيلتَين.



١٨ **تدبُّر القرآن هو:** معرفةُ معاني ألفاظِه، وتأمُّلُ معاني آياتِه والمرادِ منها، والتفكُّرُ فيما تدُلُّ عليه، وانتفاعُ القَلْب بمواعِظِه وأخبارِه، والخضوعُ لأوامرِه وزواجِرِه.



١٩ **صفة التدبُّر:** أن يشْغَل القارئُ قَلْبَه بالتفكُّر في معنىٰ ما يلفِظ به، فيعرِف معنىٰ كلِّ آية، ويتأمَّل الأوامر والنواهي، ويعتَقِد قَبول ذلك، فإن كان ممَّا قصَّر فيه فيما مضىٰ استغفرَ وتابَ، وإذا مرَّ بآيةِ رحمةٍ استبشرَ وسألَ، أو عذابٍ أشفقَ وتعوَّذَ، أو

تنزيهٍ نزَّهَ وعظَّمَ، أو دُعاءٍ ومسألةٍ تضرَّعَ وطلبَ[١].

قال ابنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ؛ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّىٰ يعرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ»[٢].

وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَن قرأ القرآن ثم لم يُفَسِّره؛ كان كالأَعْجَمِيّ أو كالأَعْرابيّ»[٣].



٢٠ تدبُّر القرآن هو المقصودُ الأعظَم من إنزاله، والمطلوبُ الأهمُّ من تلاوته، لا مجرَّد تلاوته بلا فَهْم ولا تدبُّر.

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ٣٦٩).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٧٤).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٨٠).

وبه تَنْشَرِح الصُّدور وتستَنير القلوب.
قال الله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:٦٨]، وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣].



وبَّخ الله تعالىٰ علىٰ تَرْكِ تدبُّر القرآن؛ فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤].

قال العلَّامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:
«ومعلومٌ أنَّ كلَّ مَن لم يشتَغِل بتدبُّر آيات هذا القرآن العظيم -أي: تصفُّحها

وتفهُّمها، وإدراك معانيها، والعمل بها-؛ فإنَّه مُعرِضٌ عنها، غيرُ متدبِّرٍ لها؛ فيستَحِقُّ الإنكار والتوبيخ المذكور في الآيات، إن كان الله أعطاه فَهْمًا يَقْدِرُ به على التدبُّر. وهذه الآيات المذكورة تدُلُّ على أنَّ تدبُّرَ القرآن وتفهُّمَه وتعلُّمَه والعملَ به أمرٌ لا بُدَّ منه للمسلمين»(١).



تَرْكُ تدبُّرِ القرآن وتفهُّمِه ومعرفةِ مُراد الله منه؛ نوعٌ من أنواع هَجْر القرآن، وهو داخلٌ في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠].

(١) أضواء البيان (٧/ ٢٥٧).





تدبُّر القرآن مـن النصيحة لكتاب الله تعالىٰ؛

ففي الحديـث: «الدِّينُ النَّصِيحَـةُ»، قالوا: لِمَـنْ؟ قَـالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لله، وَلِكِتَابِـهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»(١).

ومـن النصيحـة لكتـاب الله تعالـىٰ: شِـدَّةُ حُبِّـه، وتعظيـمُ قَـدْرِه -فهـو كلامُ الخالـق سـبحانه-، وتلاوتُـه حـقَّ تلاوتـه، وشِـدَّةُ الرَّغبـة في فَهْمِـه، وشِـدَّةُ العنايـة بتدبُّره، والوقوفُ عند تلاوته لطلب معاني ما أحـبَّ مولاه أن يفهمَه عنه، والاعتبارُ بمواعِظِه، والوقوفُ مع أحكامه، والعملُ بأوامـرِه والانتهاء عـن زواجِـرِه(٢).

---

(١) رواه مسلم (٥٥).

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٣٨)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٢٢١).



قراءةُ قليلٍ من القرآن بالتدبُّر؛ أفضلُ من قراءة كثيرٍ من القرآن بلا تدبُّر.

قال رجلٌ لابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنِّي سريع القراءة، وإنِّي أقرأ القرآن في ثلاث! فقال: «لأن أقرأ البقرة في ليلة، فَأَدَّبَّرَهَا وأُرَتِّلَهَا؛ أحبُّ إليَّ من أن أقرأ كما تقول»(١).

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قراءةُ آيةٍ بتفكُّر وتفهُّم؛ خيرٌ من قِراءة خَتْمةٍ بِغير تدبُّر وتفهُّم، وأنفعُ للقَلْب، وأدْعَىٰ إلىٰ حُصُول الإيمان وذَوْق حلاوة القُرآن، وهذه كانت عادة السَّلَف؛ يُرَدِّد أحدُهم الآية إلىٰ الصَّباح»(٢).

---

(١) فضائل القرآن لأبي عُبَيد (ص ١٥٧).
(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٥٣٥).

وقال: «قراءةُ سُورةٍ بتدبُّرٍ ومعرفةٍ وتفُّهمٍ، وجَمْعُ القَلْب عليها؛ أحبُّ إلىٰ الله تعالىٰ من قراءة خَتْمَةٍ سَرْدًا، وإن كثُر ثواب هذه القراءة.

وكذلك صلاةُ ركعتَين يُقبِل العبدُ فيهما علىٰ الله تعالىٰ بقَلْبه وجوارحه، ويُفَرِّغ قَلْبَه كلَّه لله فيهما؛ أَحَبُّ إلىٰ الله تعالىٰ من مئتَي ركعة خاليةٍ من ذلك، وإن كثُر ثوابهما عَدَدًا»[١].

وقال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القراءة القليلة بتفكُّر؛ أفضلُ من الكثيرة بلا تفكُّر، وهو المنصوصُ عن الصحابة صريحًا»[٢].

---

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ص ٢٩).
(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٣٤).

ولذا قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اقرأوا القرآن، وحَرِّكُوا بِهِ القُلُوب، ولا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ»[1].



قال الإمامُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لا شيءَ أنفعُ للقَلْب من قِراءة القُرآن بالتدبُّر والتفكُّر؛** فإنَّه جامعٌ لجميع منازِل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين، وهو الذي يُورِثُ المحبَّة، والشَّوق، والخوف، والرَّجاء، والإنابة، والتوكُّل، والرِّضا، والتفويض، والشُّكْر، والصَّبر، وسائِر الأحوال التي بها حياةُ القَلْب وكمالُه، وكذلك يَزْجُر عن جميع

---

(١) شُعَب الإيمان للبيهقي (٣/ ٤٠٧).

الصِّفات والأفعال المذمومة والتي بها فسَاد القَلْب وهلاكُه.

فلو عَلِمَ النَّاسُ ما في قراءة القُرآن بالتدبُّر؛ لاشتَغَلُوا بها عن كلِّ ما سواها.

فإذا قرأه بتفكُّر حتَّىٰ مرَّ بآيةٍ هو مُحتاجٌ إليها في شِفاء قَلْبه؛ كرَّرها ولو مائةَ مرَّة، ولو ليلة! فقراءةُ آيةٍ بتفكُّر وتفهُّم خيرٌ من قِراءة ختمةٍ بِغير تدبُّر وتفهُّم»[1].

فتَدَبَّرِ القُرآنَ إن رُمتَ الهُدَىٰ

فالعِلْمُ تحتَ تَدَبُّرِ القُرآنِ

٢٦ من الأسباب المعينة علىٰ تدبُّر القرآن: اسْتِشعارُ عَظَمَة القرآن، وأنَّه كلامُ الله تعالىٰ، ورسائلُه إلىٰ خَلْقه.

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٥٣٥).

ورُوِيَ عن الحسن بن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه قال: «إنَّ مَن كان قبلكم رأو القرآن رسائلَ من ربِّهم؛ فكانوا يتدبَّرونها بالليل، ويتفقَّدونها في النهار»(١).

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إذا سَمِعتَ الله تعالىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ فأَرْعِهَا سمعَك؛ فإنَّه خيرٌ يأمُر به، أو شرٌّ ينهىٰ عنه»(٢).




٢٧ من الأسباب المعينة علىٰ تدبُّر القرآن: التمهُّل والترسُّل في القراءة.

فهو أدْعَىٰ للفَهْم والتدبُّر، قال تعالىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء:١٠٦]،

(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (ص ٥٤).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧١٨).

أي: علىٰ مَهْلٍ وتُؤَدَةٍ؛ ليتدبَّروه ويتفكَّروا في معانيه، ويستخرجوا علومه[١].

وقال حُذَيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَىٰ، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَىٰ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا. يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ»[٢].

وقال رجلٌ لابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: إنِّي لأقرأ القرآن في ليلةٍ مرَّةً أو مرَّتين! فقال: «لأن

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٧/ ٥٧٥)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٨٥)، وتفسير السعدي (ص ٤٦٨).

(٢) رواه مسلم (٧٧٢).

أقرأ إلَّا سورةً واحدةً؛ أحبُّ إليَّ من أن أصنعَ ذلك، فإن كنتَ لا بُدَّ فاعلًا؛ فاقرأ قراءةً تُسْمِعُ أُذُنَيك وتُوعِيه قَلْبَك»[١].



من أعظَم الأسباب المعينة علىٰ تدبُّر القرآن: النظر في كتب تفسير القرآن، والتدرُّج فيها، واستِصحابُ تفسيرٍ مختصرٍ علىٰ هامش المصحَف عند التِّلاوة.



من الأسباب المعينة علىٰ تدبُّر القرآن: جَمْعُ القَلْب عند تلاوته.

قال الإمامُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا أردتَ الانتِفاع بالقرآن؛ فاجْمَع قَلْبَك عند تلاوته وسماعه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

(١) سُنَن سعيد بن منصور (١٦١ –التفسير).

﴿لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق:٣٧].

وذلك أنَّ تمام التأثير لَـمَّا كان موقوفًا علىٰ مُؤثِّر مُقْتَضٍ، ومحلٍّ قابل، وشرطٍ لحصول الأثر، وانتفاءِ المانع؛ تضمَّنت الآيةُ ذلك كلَّه:

فقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ﴾ هو المؤثِّر، ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾: هو المحلُّ القابل، ﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ﴾ أي: وجَّه سمعَه وأصغىٰ، وهذا شرطُ التأثُّر بالكلام، ﴿وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ أي: شاهدُ القَلْب ليس بغافل ولا ساهٍ، وهو إشارة إلىٰ المانع من حصول التأثير، وهو سهو القَلْب»[1].

---

(١) الفوائد لابن القيِّم (ص ٣)، باختصار.



من الأسباب المعينة على تدبُّر القرآن أيضًا: تدارُس القرآن في حلقات العِلْم، وتَكرار الآية أكثر من مرَّة.

والتفاعل مع الآيات؛ فيسبِّح إذا مرَّ بتسبيح، ويسأل في آيات الرحمة، ويستعيذ في آيات العذاب.

وقراءة القرآن في قيام الليل؛ فهذا أجْمَعُ للخاطِر، وأشدُّ مواطأة بين القَلْب واللِّسان.



من موانع تدبُّر القرآن: معصية الله -خاصَّةً الكِبْر واتِّباع الهوَىٰ والتلبُّس بالبِدَع-، وانشِغال القَلْب وغفلَته، وعدم فَهْم المعاني، والإسراع المبالَغ فيه في القراءة.

طُوبَىٰ لِـمَنْ حَفِظَ الْكِتَابَ بِصَـدْرِهِ
فَـبَـدَا وَضِـيـئًـا كَـالـنُّـجُـومِ تَـأَلَّـقَـا
اللهُ أَكْبَـرُ، يَـا لَهَـا مِـنْ نِعْمَـةٍ
لَـمَّا يُقَـالُ «اقْـرَأْ»، فَـرَتَّـلَ وَارْتَـقَـا
وَتَـمَـثَّـلَ الْـقُـرْآنَ فِـي أَخْـلاقِـهِ
وَفِـعَـالِـهِ، فَـبِـهِ الْـفُـؤَادُ تَـعَـلَّـقَـا
وَتَـلاهُ فِـي جُنْـحِ الدُّجَـىٰ مُتَدبِّـرًا
وَالـدَّمْـعُ مِـنْ بَيْنِ الْجُفُونِ تَرَقْرَقَا
هَـذِي صِفَـاتُ الْحَافِظِيـنَ كِتَابَـهُ
حَـقًّـا، فَـكُـنْ بِـصِـفَـاتِـهِـمْ مُتَخَلِّقَا

نسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا من أهل القرآن، العالمين به، العامِلين بأحكامه، المَتدبِّرين لآياتِه، الواقفين عند حدوده، آمين

والحمد لله ربِّ العالمين